جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

وصية محمد الفاتح لابنه
دراسة في التركيب والدلالة

إعداد
د/ محمد حسين محمود
المدرس في قسم أصول اللغة
كلية اللغة العربية بالقاهرة
جامعة الأزهر

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

وصية محمد الفاتح لابنه دراسة في التركيب والدلالة

محمد حسين محمود

قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: mohamedhussin74@azhar.edu.eg

الملخص:

يدور هذا البحث حول وصية لمحمد الفاتح لابنه، تلك الوصية التي جمعت كل القيم النبيلة والأخلاق السامية، وقد خاض البحث غمار هذه الوصية مبينًا التراكيب والأساليب التي استخدمها محمد الفاتح في الوصية، كاشفًا الدلالات المتنوعة التي تكمن في وجود هذه التراكيب والدلالات في الوصية، والتي تدل على شخصية محمد الفاتح وفصاحته وقوة بيانه؛ وذلك لأنه كان مجيدًا للغة العربية تحدثًا وكتابة –كما ذكرنا– أثناء المعالجة في البحث، فقد أدى تنوع التراكيب والأساليب إلى تنوع في الدلالات: فقد أكثر محمد الفاتح من استخدام الأساليب الأمرية، وهذا يدل على عنايته واهتمامه بابنه؛ إذ إنه يعده لأمر جلل، واستخدم –أيضًا– أسلوب النهي؛ وذلك لأنه أراد أن يبعد ابنه عن كل الأمور التي نهاه عنها في الوصية، واستخدم محمد الفاتح –أيضًا– التراكيب والأساليب الآتية: (التحذير، الشرط، الإشارة، الاستدراك)، علاوة على استخدامه لضمير الفصل؛ مما يدل على قوة بيانه وفصاحته؛ إذ إن استخدامه لتلك التراكيب والأساليب لم يكن عبثيًّا، وإنما كان مقصودًا لذاته؛ لما لهذه الأساليب وتلك التراكيب من أثر في ترابط نص الوصية وتماسكه؛ فتعدد التراكيب والأساليب في الوصية أدى إلى ترابط النص وتماسكه، وتنبيه متلقي الوصية إلى ضرورة الأخذ بما جاء فيها والعض عليه بالنواجد.

الكلمات المفتاحية: وصية، تركيب، أسلوب، دلالة، محمد الفاتح.

Muhammad Al Fatih's will to his son. a study in structure and meaning

Muhammad Hussein Mahmoud
Department of Linguistics at the Faculty of Arabic Language in Cairo - Al-Azhar University, Egypt
Email: mohamedhussin74@azhar.edu.eg

Abstract:
This research revolves around the will of Muhamma The conqueror to his Son, a will that brought to gether all the noble Values and lofty morals, The research delved into the depths of this will, showing the structures and methods that Muhammad the conqueror used in The Will, inspired by The Various connotations in the Presence of these structures and connotations in the will, which indicate the Personality of Muhammad The conqueror, his eloquence and his strength, his statement is because he was fluent in the Arabic language, speaking and writing - as we mentioned- during the treatment in the research, The diversity of structures and methods led to a diversity of connotations: Muhammad the Conqueror used more commanding styles, and this indicates his care and concern for his son; As he was preparing him for something important, he also used the method of prohibition. This is because he wanted to keep his son away from all the things that he forbade him from doing in the will, Muhammad the conqueror used more commanding methods, and this is evidence of his care and concern for his son, as he was preparing him for a great matter, he also used the forbidding method. because he wanted to keep his son away from what forbidden, Muhammad the conqueror also used the following structures and methods (the reference, and The correction), in addition to his use of the Pronoun of separation, this indicates the strength of his statement and his eloquence, as his use of these structures and methods was not absurd, but rather was intended for it's own Sake because these methods had an impact on the Coherence and cohesion of the text. of the will, the multiplicity of structures and alerted the recipient of the will to it is necessary to take what is stated in it and bite it with your teeth.

keywords: Will, Structure, Method, Indication, Muhammad Al Fatih's.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على أشرف الخلق، وسيد المرسلين سيدنا محمد العربي الأميّ الأمين، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فإن الخطب والوصايا أسلوب من أساليب الوعظ والإرشاد، وأيضًا هي نوع وضرب من ضروب التذكير المقبول والمحمود والمحبوب لدى الإنسان؛ فإن من البيان ما يسحر القلوب، ويجعلها قابلة لما يتلى عليها من خطب ووصايا، وأيضًا من البيان ما يذل النفوس ويهذبها ويخضع العقول، فالوصايا والخطب يهذِّبان طبع الإنسان، ويأخذانه من اتجاه إلى آخر، ومن طريق إلى طريق[١].

والوصايا صنف من صنوف التذكير، ونوع من أنواع النصح والتبشير، فقد التزم هذه الوصايا كثير من سلفنا الصالح، وأوصى بها جمٌّ غفير من الخلف[٢].

وعندما اطّلعت على وصية السلطان محمد الفاتح لابنه وهو على فراش الموت؛ وجدت استخدامه لكثير من التراكيب والأساليب ذات الدلالات المختلفة والمتنوعة، التي لعبت دورًا بارزًا في كشف اللثام عمَّا يريده السلطان من تقديمه وصيته لابنه؛ ومن ثمَّ وليت وجهي نحو دراسة هذه الوصية.

ولذا جاء عنوان البحث: (وصية محمد الفاتح لابنه دراسة في التركيب والدلالة).

وعندما قمت بالنظر في هذه الأساليب وتلك التراكيب وجدتها تستنطق دلالات متنوعة، كان لها أبلغ الأثر في تقديم النصائح التي أرادها السلطان لابنه.

---

١) ينظر: سمير المؤمنين في المواعظ والحكم والقصص، محمد علي الحجار ص٧، طبعة دار البشائر الإسلامية، الطبعة التاسعة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢) ينظر: سمير المؤمنين في المواعظ والحكم والقصص ص٧.

ولا يخفى علينا أن السلطان محمد الفاتح كان يجيد اللغة العربية إجادة تامة كما سنعرف عند ترجمته؛ حيث درسها وأجادها إجادة كاملة، ومن ثم ألقى هذه الوصية باللغة العربية، وبهذا الأسلوب البليغ.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون الحديث في دراسة هذه الوصية على النحو الآتي:

أولًا: التمهيد: وفيه التعريف بالوصية وقائلها.

ثانيًا: التراكيب والأساليب ودلالاتها، وفيه:

١- أسلوب الأمر: تركيبه ودلالته.

٢- أسلوب النهي: تركيبه ودلالته.

٣- أسلوب التحذير: تركيبه ودلالته.

٤- أسلوب الشرط: تركيبه ودلالته.

٥- أسلوب الإشارة: تركيبه ودلالته.

٦- أسلوب الاستدراك: تركيبه ودلالته.

٧- ضمير الفصل.

أولًا: التمهيد

التعريف بالوصية وقائلها

جاءت الوصية محمَّلة بالأوامر والنواهي التي أمر السلطان محمد الفاتح ابنه بأن يعض عليها بالنواجذ، وتتمثل تلك الأوامر والنواهي فيما يلي:

١- أمره بالعدل والصلاح والرحمة، وعدم التمييز بين الرعية في نشر الحماية عليهم.

٢- طلب منه أن يعمل على نشر الدين الإسلامي؛ لأن هذا واجب الملوك والحكّام على مرِّ العصور والأزمان.

٣- أمره بالاهتمام بأمر الدِّين، ونهاه عن استعمال الأشخاص الذين لا علاقة لهم بالدِّين، ولا يبتعدون عن الكبائر، وأمره بمجانبة البدع والأهواء، والبعد عن الذين يسولون له ذلك.

٤- أمره بالجهاد وتوسيع أرجاء البلاد، وحراسة بيت مال المسلمين.

٥- حذَّره من أن يمد يده في مال أحدٍ إلا بالحق، كأخذ الزكاة من الأغنياء وإعطائها للفقراء.

٦- أمره بتعظيم شأن العلماء، وإكرامهم بكل أنواع التكريم، سواء أكان ماديًّا أم معنويًّا.

٧- حذَّره من أي عمل يخالف أحكام الشريعة؛ لأن الدِّين هو غاية كل إنسان، وسبب نصرته، وحذَّره من الغرور بكثرة الأموال والجنود.

٨- أمره أن يلزم مسلكه ومنهجه من تعزيز الدين، وعدم صرف الأموال في ترفٍ ولهو.

التعريف بقائل الوصية

اسمه ومولده:

هو محمد بن مراد بن محمد بن بايزيد بن عثمان، السلطان محيي الدين، ملك الروم، وصاحب القسطنطينية وفاتحها.

ولد بعد الأربعين وثمانمائة، وولي السلطنة بعد موت أبيه سنة خمس وخمسين، قال الشيخ شهاب الدين الكوراني يمدحه[١]:

سلطاننا الباهر الباهي لَهُ شرفٌ	**يسمو على الْبَدْر والجوزاء والشهب**
مُحَمَّد أَنْت فَخر الْقَوْم قاطبةٍ	**سميت بدر السما من أنجم الْعَرَب**
رياض مدحك أزهار مفتحةٌ	**صَوت شعري لَهَا كالبلبل الطَّرب**
لَك الْبَقَاء مدى الْأَيَّام فَوق على	**وضدك الأبتر المخذول فِي نصب**

فاتح القسطنطينية:

هو صاحب بشارة القسطنطينية التي بشَّر بها الرسول ﷺ في حديثه: «لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ»[٢].

حياته ونشأته:

استقر في المملكة بعد موت أبيه في سنة خمس وخمسين، وكان قد أوصى به خليلًا وهو صاحب شماخي، وأمر ابنه ألا يخرج عنه فأصبح ملكًا عظيمًا، اقتفى أثر أبيه في المثابرة على دفع الفرنج بحيث فاق، ووُصِف بمزاحمة العلماء، ورغبته في لقائهم، وتعظيم من يرد عليه منهم، وإهدائه في كل قليل

---

١) ينظر: نظم العقيان في أعيان الأعيان لجلال الدين السيوطي ص١٧٣، تحقيق: فيليب حتى، الناشر: المكتبة العلمية _ بيروت.

٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣١ / ٢٨٧، المحقق: شعيب الأرنؤوط _ عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢١هـ -٢٠١٠م.

للمحيوي الكافياجي، مع مكاتباته الفائقة وانخفاضه عن والده في اللذات، وله مناقب ومآثر كثيرة: من مدارس، وزوايا، وجوامع، ومساجد[١].

وقد شكَّلت مجموعة من علماء الدين حياة السلطان محمد الفاتح، وفي طليعتهم الشيخ «آق شمس الدين» الذي كان صارمًا مع الأمير، حتى إن السلطان الفاتح قال لأحد وزرائه عن شيخه هذا: "إن احترامي لهذا الشيخ احترام يأخذ بمجامع نفسي وأنا ماثل في حضرته مضربًا ويداي ترتعشان"[٢].

وأثر في السلطان –أيضًا– الشيخ «الملا الكوراني»، وهو عالم الدِّين عند العثمانيين الأوائل؛ حيث كان موسوعة في شتى علوم المعرفة في عصره[٣].

ودرس السلطان محمد الفاتح العربية وأجادها إجادة تامة، ودرس –أيضًا– الفارسية، والتركية، والسلطان محمد الفاتح شاعر له ديوان شعر بالتركية، ومن ثمَّ كان يتكلم التركية، والعربية، والفارسية، واليونانية[٤].

ونظراً لإجادته اللغة العربية تحدثًا وكتابة ألقى هذه الوصية لابنه باللغة العربية التي كان –أيضًا– يجيدها، مستخدمًا تلك التراكيب والأساليب، التي سيقوم الباحث بمعالجتها.

---

١) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي ١٠/ ٤٧، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

٢) ينظر: قيام الدولة العثمانية د. عبد اللطيف عبد الله دهيش ص٧٣، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ١٩٩٥م، وينظر: وصية السلطان محمد الفاتح لابنه بايزيد الثاني دكتورة نعيمة عبد الله بن دهيش – قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ص٦، المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة بنها، العدد الثالث والعشرون يوليو ٢٠١٠.

٣) ينظر: قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين د. زكريا سليمان بيومي ص٤٦، ط: عالم المعرفة، القاهرة ١٩٩١م، وينظر: وصية السلطان محمد الفاتح لابنه د. نعيمة عبد الله بن دهيش ص٦.

٤) ينظر: وصية السلطان محمد الفاتح لابنه بايزيد الثاني د. نعيمة عبد الله بن دهيش ص٦.

وفاته:

توفي السلطان محمد الفاتح في أوائل سنة ست وثمانين وثمانمائة في أثناء توجهه قادمًا من اسطنبول لجهة «برصا»، ودفن بالبرية هناك، ثم حول إلى «اسطنبول» في ضريح بالقرب من جوامعه بها(١).

نص الوصيَّـــة:

يقول السلطان محمد الفاتح موصيًا ابنه:

«ها أنذا أموت ولكنني غير آسفٍ؛ لِأنِّي تاركٌ خَلَفًا مثلَك.

كُن عادلًا صالحًا رحيمًا، وابسط على الرعيَّة حمايتك بِدون تمييز، واعمل على نشر الدين الإسلامي؛ فإنَّ هذا هو واجب المُلُوك على الأرض.

قدِّم الاهتمام بِأمر الدين على كُلِّ شيء، ولا تفتر في المُواظبة عليه، ولا تستخدم الأشخاص الذين لا يهتمُّون بِأمر الدين، ولا يجتنبون الكبائر وينغمسون في الفُحش، وجانب البدع المُفسدة، وباعد الذين يُحرِّضونك عليها.

وسِّع رُقعة البلاد بِالجهاد، واحرُس أموال بيت المال من أن تتبدَّد.

إيَّاك أن تمُدَّ يدك إلى مال أحدٍ من رعيَّتك إلَّا بِحق الإسلام، واضمن لِلمعوزين قوتهم، وابذل إكرامك لِلمُستحقين.

وبِما أنَّ العُلماء هم بِمثابة القُوَّة المبثوثة في جسم الدولة، فعظِّم جانبهم وشجِّعهُم، وإذا سمعت بِأحدٍ منهم في بلدٍ آخر فاستقدمه إليك وأكرمه بِالمال.

حذارِ حذارِ! لا يغُرَّنَّك المال ولا الجُند، وإيَّاك أن تُبعد أهل الشريعة عن بابك، وإيَّاك أن تميل إلى أيِّ عملٍ يُخالف أحكام الشريعة؛ فإنَّ الدين غايتنا، والهداية منهجنا، وبِذلك انتصرنا.

---

١) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي ٤٧/١٠، وينظر: نظم العقيان في أعيان الأعيان لجلال الدين السيوطي ص٧٣.

خُذ منِّي هذه العبرة! حضرتُ هذه البلاد كنملةٍ صغيرة، فأعطاني الله تعالىٰ هذه النعم الجليلة، فالزم مسلكي، واحذُ حُذوي، واعمل على تعزيز هذا الدين وتوقير أهله، ولا تصرف أموال الدولة في ترفٍ أو لهوٍ أو أكثر من قدر اللُّزوم؛ فإنَّ ذلك من أعظم أسباب الهلاك»[١].

ثانيًا: التراكيب والأساليب ودلالاتها في الوصية

"يقصد بالأساليب والتراكيب تلك الجمل والصيغ اللغوية التي تعمل عملها، وتقوم بدورها في إثراء القول وتكثيف الخطاب، وما ينتج عن ذلك من بسط لذات المتكلم، والكشف عن سرائره، وبيان تأثير تلك الأساليب على السامع، أو هو طريقة يعبر بها بالتفكير أو التعبير، أو بمعنى: تعبير بشكل لفظي عن نظم الكلام أو المعاني"[٢].

وسيتناول الباحث فيما يلي التراكيب والأساليب الموجودة في الوصية ودلالاتها:

١- أسلوب الأمر تركيبه ودلالته

ويطلق على أسلوب الأمر «الجملة الأمرية»، وهي ما كان مرادها طلب الفعل من الأعلى حقيقة أو ادِّعاء، وتشمل الجملة المصدَّرة بفعل أمر، والمصدَّرة بمضارع مقرون بلام الأمر، أو المصدَّرة باسم فعل أمر[٣].

---

١) ينظر: سمير المؤمنين في المواعظ والحكم والقصص ص٢٠، ٢١.

٢) ينظر: التركيب اللغوي للأدب بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا، د. لطفي عبد البديع ص٥٧، مكتبة لبنان ـ بيروت، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان) ـ الجيزة ١٩٩٧م، وينظر: أسلوب الطلب باستخدام صيغ فعل الأمر في اللغات السامية دراسة لغوية مقارنة، تأليف: علاء عبد الدايم، إياد محمد حسين، علي عبد الحمزة لازم ص٣٢٣، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠١٦، المجلد ٦ العدد٤.

٣) ينظر: دراسة تفصيلية لأحوال الحملة العربية، د. صبحي عبد الحميد ١٣٢/١، ١٣٣، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ. ١٩٨٤م، دار الطباعة المحمدية.

إذًا فأسلوب الأمر هو الذي يتصدر بإحدى الصيغ الآتية:

١- فعل الأمر:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١].

أسلوب الأمر في الآية الشريفة جاء مكونًا ومركبًا من فعل الأمر (اتق)، والفاعل المستتر تقديره (أنت)، والمفعول به وهو لفظ الجلالة (الله).

٢- المضارع المقرون بلام الأمر:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١].

فجاء أسلوب الأمر في الآية الشريفة مكونًا ومركبًا من الفعل المضارع المقرون بلام الأمر (لينفق)، والفاعل وهو (ذو).

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[(١)].

٣- اسم فعل أمر:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾[المائدة: ١٠٥].

أسلوب الأمر في الآية الشريفة تركَّب وتكوّن من اسم فعل (عليكم)، والفاعل الضمير المستتر، والمفعول به (أنفسكم).

٤-المصدر النائب عن الفعل:

قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فجاء أسلوب الآية مكوّنًا ومركّبًا من المصدر (إحسانًا)، والفاعل (الضمير المستتر).

---

١) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الضيف والجار، ٢٢١/١، تحقيق: عبد الله أحمد أبو زينة، طبعة كتاب الشعب.

والأمر: «طلب فعل غير كفٍّ على جهة الاستعلاء»، واحترز بلفظ: «غير كف» عن أسلوب النهي، و«على جهة الاستعلاء»، أي: على طريق العلو سواء أكان عاليًا حقيقة أم لا، وخرج من ذلك أيضًا الدعاء، والالتماس؛ فإن الدعاء يأتي من الأدنى، والالتماس يكون من المستوي[١].

وأسلوب الأمر قد يأتي على حقيقته، وقد يخرج إلى معانٍ مجازية، والمعاني المجازية منها: الدعاء، الالتماس، الإرشاد، التهديد، التعجيز، الإباحة، التسوية، الإكرام، الامتنان، الإهانة، الدوام، التمني... إلى غير ذلك من المعاني المجازية[٢].

وأسلوب الأمر والجملة الأمرية التي تحث على الأمر وتدعو إلى امتثاله تقع مؤكدة بـ «إنَّ» كثيرًا، وفي هذا التوكيد زيادة على الحثِّ والترغيب[٣].

-أساليب الأمر في الوصيّة والدلالات المستوحاة منها:

اشتملت الوصيَّة على كثير من أساليب الأمر ذات الدلالات المتنوعة التي أضفت عليها رونقًا وبهاءً، منها:

- «كن عادلًا، صالحًا، رحيمًا»:

أسلوب أمر جاء على نسق تركيب الجمل الأمرية من حذف فاعلها وجوبًا، وصدّر أسلوب الأمر بفعل الأمر الصريح.

---

١) ينظر: الأساليب الإنشائية في ضوء القرآن الكريم، د. بسيوني عرفة ص١٢٤، ط: الرسالة.

٢) ينظر: علوم البلاغة لمصطفى المراغي ص٧٥، ٧٦، ط:٣، بيروت _ دار الكتب العلمية ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م، وينظر: البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى أمين ص١٧٩، ط: جاكرتا . روضة فريس٢٠٠٧م.

٣) ينظر: دلالات التراكيب د. محمد أبو موسى ص٢٧٧، ط: دار التضامن، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ . ١٩٨٧م.

ويدلُّ أسلوب الأمر هذا على مدى عناية السلطان محمد الفاتح بحال ابنه، وما ينبغي أن يكون عليه لاستقامة حاله، فأمره بلزوم العدل، والصلاح، والرحمة.

فصفات العدل والصلاح والرحمة صفات متلازمة، متى تحققت في الإنسان استقامت حياته، وكسب محبة الخالق والخلق، وأصبح قريبًا من قلوب الناس، وهذا يدل على شدة حبه لابنه؛ حيث يتمنى له رضا الله، ثم رضا الخلق.

ومن الأساليب الأمرية –أيضًا– في الوصية:

– «**وابسط على الرعية حمايتك بدون تمييز**»:

مظهر آخر من مظاهر العناية جاء به هذا الأسلوب والتركيب الأمري الذي اكتملت أركانه التركيبية، إلا أنه زاد في هذا التركيب عبارة «بدون تمييز»؛ ليرشده إلى مظهر تحقيق العدل في حكمه؛ إذ التمييز مدعاة للجور والظلم إن لم يكن أساسه.

ومن الأساليب الأمرية:

– «**واعمل على نشر الدين الإسلامي**»:

أسلوب أمر للدلالة على أن يعمل ابنه على التزام ما فيه حياته، وهو نشر دينه الإسلامي بما يحمل من تعاليم سمحة، ومظاهر رقي ورفعة.

وهذا وإن كان واجب كل مسلم غيور على دينه إلا أنه في حقِّ الولاة والملوك والحكام والسلاطين أوجب؛ ولذا جاء أسلوب الأمر هنا مؤكَّدًا بـ «إنَّ»، فجاء هذا التركيب: «**فإن هذا واجب الملوك على الأرض**»؛ ليؤكد هذه الحقيقة ويدعمها، فالتركيب اشتمل على أداة التوكيد «إنَّ»، وضمير الفصل «هو».

ويظل التوجيه بتلك العناية قائمًا في ذهن السلطان؛ فجاء الأسلوب والتركيب الآتي:

– «**قدِّم الاهتمام بِأمر الدِّين على كُلِّ شيء، ولا تفتر في المُواظبة عليه**»:

وأسلوب الأمر هنا على حقيقته في الوجوب؛ لأن أمر الدِّين لا يمكن التفريط فيه بحال، وإذا أحسَّ الإنسان بما يبعده عن دينه فليتنبّه، وليبتعد عنه

بكل ما أوتي من قوة؛ لذلك جاء بأسلوب النهي في: «**ولا تستخدم الأشخاص الذين لا يهتمون بأمر الدين، ولا يجتنبون الكبائر وينغمسون في الفحش**»؛ ليؤكد هذه الحقيقة.

ومن الأساليب الأمرية في الوصية أيضًا:

- «**جَانِبِ البدع المُفسدة**»، و «**باعد الذين يُحرِّضونك عليها**»:

استخدم في أسلوب الأمر السابق الفعل «جَانِبْ» دون «اجْتَنِبْ»، وإن كانت الثانية تدل على زيادة في الفعل إلا أن الأولى أقوى في الدلالة؛ إذ مصدر الفعل «جانب» مجانبة فيها مفاعلة ، وكأن البدع تهاجم ابنه لتخرجه عن دينه الصحيح وهو لا يستسلم لها، فيظل في مرحلة عراك معها حتى ينتصر، ومثل ذلك يقال في الفعل «باعِد» الذي استخدمه دون «أَبْعِدْ».

ومن الأساليب الأمرية في الوصية:

- «**وسِّع رقعة البلاد بالجهاد**»:

أسلوب أمر يشعره بمدى تحمل المسئولية تجاه الوطن، وذلك بالمحافظة على أرضه، بل والزيادة عليها دون الاعتداء على حقوق الآخرين، ويستمر هذا الحرص على الوطن فيأتي أسلوب الأمر:

- «**واحرُس أموال بيت المال من أن تتبدَّد**» الذي يوصيه فيه بالمحافظة على ثروات الناس وأموالهم؛ فهي مظهر من مظاهر حفظ الوطن، وحفظ كليَّات الدين.

ومن الأساليب الأمرية في الوصية:

- «**واضمن لِلمعوزين قوتهم**»:

أسلوب أمر قدَّم فيه الجار والمجرور على المفعول به؛ ليدل على مزيد عناية لهذا الصنف من الناس.

أولئك الذين أحوجتهم ظروف الحياة إلى سؤال الناس، فدعاه إلى الاهتمام بهم والنظر في شئونهم؛ إغناءً لهم عن السؤال، وهذا مبدأ ديني حثَّ عليه ديننا الحنيف فقالﷺ: «اغنوهم عن الطلب في هذا اليوم»(١).

ومن الأساليب الأمرية في الوصية:

- «**وابذُل إكرامَك للمُسْتَحِقِّين**»:

وبالمقارنة بين هذا التركيب والتركيب السابق عليه: «**واضمن لِلمعوزين قوتهم**» نلاحظ أن تركيب «**واضمن لِلمعوزين قوتهم**» حدث فيه تقديم على النحو المذكور؛ للعناية بأمر الفقراء، وأن ما يعطى لهم حق لهم وليس تفضُّلًا عليهم؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[الذاريات: ١٩].

أما في التركيب الثاني «**وابذل إكرامك للمُسْتحقِّين**» لم يحدث فيه تقديم؛ لأن الإكرام تفضُّل من المكرِم، ثم قال: للمُسْتحقِّين؛ ليدل على أن الإكرام ليس حقًّا مكتسبًا لكل الناس.

ومن الأساليب الأمرية في الوصية:

- «**فعظِّم جانبهم وشجِّعهُم**»:

وهذا الأسلوب جاء بعد: «**وبما أن العلماء هم بمثابة القوة المبثوثة في جسم الدولة فعظِّم جانبهم وشجعهم**»، حيث بدأ الكلام بأسلوب تعليل، وقدَّمه على المطلوب من ابنه؛ ليهيئ ابنه إلى تلقي الأمر الوارد بعد، فجاء بأسلوب التعليل الذي حوى ضمير الفصل «هم»؛ ليشعره بمكانة هؤلاء العلماء، ومن هنا جاء أسلوب الأمر مباشرة: «**فعظِّم جانبهم وشجِّعهُم**».

---

١) ينظر: كشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور البهوتي ٢٥٢/٢، الناشر: مكتبة النصر الحديثة بالرياض، دون تاريخ.

وبعد استعراض الأساليب الأمرية في الوصية تبين للباحث كثرة استخدام السلطان محمد الفاتح للأساليب الأمرية، وهذا يدل على مدى عنايته واهتمامه بحال ابنه، وهو بهذا يعده لأمر جلل؛ إذ إنه سيكون الراعي بعده، وكل راعٍ مسئول عن رعيته.

ومن ثم ختم الوصية بهذه الأساليب الأمرية: «**فالزم مسلكي**»، «**واحذُ حذوي**»، «**واعمل على تعزيز هذا الدِّين وتوقير أهله**».

٢- أسلوب النهي تركيبه ودلالته

"أسلوب النهي: كل أسلوب يطلب به الكفّ عن الفعل على جهة الاستعلاء أو الإلزام، ويأتي أسلوب النهي من جهة عليا ناهية إلى جهة دنيا منْهِيَّة، أي من الأعلى إلى الأدنى"(١).

ويتركب أسلوب النهي من الفعل المضارع المقرون بـ «لا» الناهية، أي يتصدر أسلوب الأمر بالفعل المضارع الداخل عليه «لا» الناهية، ثم الفاعل سواء أكان ضميرًا مستترًا أو بارزًا، ثم الأمر المَنْهِيّ عنه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾[الضحى: ٩، ١٠، ١١].

(١) ينظر: علم المعاني د. بسيوني عبد الفتاح فيود ١٠١/٢ دون تاريخ طبع، وينظر: محاضرات في علم المعاني د. محمود شيخون ص٧٠ دون تاريخ طبع، وينظر: دراسة تفصيلية لأحوال الجملة العربية د. صبحي عبد الحميد ١٣٣/١.

- أساليب النهي في الوصية والدلالات المستوحاة منها:

من أساليب النهي في الوصية:

- **«ولا تستخدم الأشخاص الذين لا يهتمون بأمر الدَّين، ولا يجتنبون الكبائر، وينغمسون في الفحش»**؛ ليؤكد حقيقة أساليب الأمر السابقة على هذا الأسلوب، وهي: **«واعمل على نشر الدِّين الإسلامي»**، و**«قدِّم الاهتمام بأمر الدِّين على كلِّ شيء، ولا تفتر في المواظبة عليه»**، فجاء أسلوب النهي ليؤكد حقيقة الاهتمام بأمر الدين، والبعد عن كل شيء يبعد الإنسان عن دينه؛ حيث نهى السلطان ابنه عن استخدام الأشخاص الذين لا علاقة لهم بالدين، ولا يترفَّعُون عن ارتكاب الكبائر، ويسيرون وراء أهوائهم وشهواتهم.

وجاء أسلوب النهي في الوصية -أيضًا- في:

- **«ولا تفتر في المواظبة عليه»:**

نهاه عن الفتور حيث طلب منه المواظبة على الاهتمام بأمر الدِّين، وتقديمه على كل شيء.

وجاء أسلوب النهي -أيضًا- في الوصية في:

- **«ولا تصرف أموال الدولة في ترفٍ أو لهو»:**

فجاء أسلوب النهي هذا للتأكيد على الأساليب الأمرية السابقة عليه، وهي: **«فالزم مسلكي، واحذُ حذوي»** فجاء أسلوب النهي بعد هذه الأساليب الأمرية، حيث اجتمع في نهاية الوصية أسلوب الأمر، وأسلوب النهي، وأسلوب التأكيد:

- أسلوب الأمر في: **«فالزم مسلكي، واحذُ حذوي، واعمل على تعزيز هذا الدين وتوقير أهله»**.
- وأسلوب النهي في: **«ولا تصرف أموال الدولة في ترفٍ أو لهو»**.
- وأسلوب التأكيد في: **«فإنَّ في ذلك»**.

واجتماع هذه الأساليب له دلالته التي تشير إلى أن استخدامه لتلك الأساليب لم يكن استخدامًا عبثيًّا، وإنما كان مقصودًا لذاته؛ لما لهذه الأساليب من أثر في ترابط النص، لاسيما في هذا السياق الأبوي الحاني الذي يدل على مدى حبِّ السلطان محمد الفاتح لابنه.

ولم لا؟! فأولادنا هم فلذات أكبادنا، وليس ذلك فحسب، وإنما هي وصية سلطان لخليفته.

٣- أسلوب التحذير تركيبه ودلالته

التحذير هو: «تنبيه المخاطب على مكروه يجب الاحتراز منه»، ويكون بثلاثة أشياء: بـ «إيَّاك» وأخواته، وبما ناب عنها من الأسماء المضافة إلى ضمير المتكلم، وبذكر المحذّر منه، فإن كان بـ «إيَّاك» وأخواته وجب إضمار ناصبه مطلقًا، في إفراده، وتكراره، والعطف عليه[١].

فالمحذَّر منه منصوب على المفعولية، وناصبه فعل محذوف وجوبًا، تقديره: «أحذِّر» ونحوه، فإذا أردنا أن نحذِّر إنسانًا من الكذب نقول: «الكذب»، أو نقول : «الكذب الكذب»، وذلك إذا أردنا توكيد المحذَّر منه، أو نقول: «الكذب والغش» إذا أردنا أن نحذِّر إنسانًا من شيئين، أو نقول: «إياك والكذب» إذا أردنا تخصيص إنسان بالتحذير من الكذب والتشديد في ذلك، والحذف واجب عند جمهور النحاة، وذلك عند العطف، أو التكرار، ومع «إيَّاك»[٢].

---

١) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي ١١٥٣/٣، شرح وتحقيق: الأستاذ الدكتور عبد الرحمن علي سليمان، ط: دار الفكر العربي الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٢) ينظر: دراسة تفصيلية لأحوال الجملة العربية، د. صبحي عبد الحميد محمد ٢٧/١، ٢٨.

- الدلالات المستوحاة من أسلوب التحذير في الوصيَّة:

من أساليب التحذير في الوصية:

- «إيَّاك أن تمُدَّ يدك إلى مال أحد من رعيَّتِك إلا بحقِّ الإسلام»:

أسلوب تحذير يأتي في موضعه، حيث يحذره من ظلم الرعية وأخذ أموالهم دون حق؛ ومن هنا جاء الاحتراز «**إلا بحقِّ الإسلام**»، فأموال الناس ينبغي أن تحاط بسياج من الأمن والأمان، ولا يُعْتدى عليها، ولا يُنتَقَص منها إلا بما أوجبه الشرع من دفع الزكاة، أو الدِّيَّات، أو الكفَّارات، أو غيرها.

وقد حذَّر السلطان محمد الفاتح ابنه من أمور عدَّة عندما قال له: «**حذارِ حذارِ**»، وهذه التحذيرات تتضح في الأساليب والتراكيب الآتية:

أولاها: «لا يغرنَّك المال ولا الجند»: حذَّره من الاغترار بالمال أو الجند، يعني قوة المال أو العتاد.

ثانيها: «إيَّاك أن تبعد أهل الشريعة عن بابك»: وهنا ما زال تأكيده قائمًا على الاهتمام بأمر الدِّين وعلمائه، فيأتي معنا أسلوبان في الوصية: أسلوب الأمر الذي تحدث الباحث عنه، وهو: «**قدِّم الاهتمام بأمر الدين على كل شيء**»، والثاني: أسلوب التحذير الذي معنا: «**إيَّاك أن تبعد أهل الشريعة عن بابك**»، وبذا يترادف التركيبان أو الأسلوبان استعمالًا في الدلالة على أمر الدِّين.

ثالثها: «إيَّاك أن تميل إلى أي عملٍ يخالف أحكام الشريعة»: وجاء هذا الأسلوب والتركيب أيضًا مرادفًا للأسلوبين السابقين؛ للدلالة على الاهتمام بأمر الدين، ومن هنا جاء أسلوب التأكيد في قوله: «**فإنَّ الدين غايتنا، والهداية منهجنا**».

٤- أسلوب الشرط تركيبه ودلالته

"التركيب الشرطي نمط من التراكيب يؤول إلى أسلوب من الأساليب"[١].

ويتركب أسلوب الشرط أو الجملة الشرطية من جملة الشرط، وجملة الجواب، كقولنا: «متى تقم للصلاة تشعر بالطمأنينة».

فجملة الشرط: «تقم للصلاة» فعل الشرط + الفاعل المستتر، وجملة الجواب: «تشعر بالطمأنينة» من فعل الشرط «تشعر» والفاعل المستتر.

فجملة الشرط جملة بسيطة غير مستقلة، ولكنها تحتاج إلى «الجواب»، وجملة الشرط ليس لها محل من الإعراب؛ لأنه لا يصح وقوع المفرد موقعها، وذلك إذا جاءت جملة الشرط بعد أداة من أدوات الشرط غير الجازمة سوى «إذا»، فجملة الشرط بعدها في محل جر بإضافة «إذا» إليها، وذلك على الصحيح ، وجملة الشرط بعد الأدوات الجازمة لا محل لها -أيضًا- إلا إذا كانت بعد أداة لم يظهر لها عمل فيما بعدها، فبعض النحويين جعلها في محل جزم[٢].

إذًا فأسلوب الشرط جملة مركبة من تركيبين: جملة فعل الشرط، جملة جواب الشرط.

---

١) ينظر: الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية الحديثة ص١٨، د. عبد السلام المسدي، د. محمد الهادي الطرابلسي، ط: الدار العربية للكتاب، ليبيا . تونس ١٩٨٥م.

٢) ينظر: دراسة تفضيلية لأحوال الجملة العربية، ١/٢٦٤: ٢٨٣.

- الدلالات المستوحاة من أسلوب وتركيب الشرط في الوصية:

ومما جاء في الوصية من أسلوب الشرط:

- «وإذا سمعت بأحدٍ منهم في بلدٍ فاستقدمه إليك»:

فتركيب الشرط هنا أداته «إذا»، و«إذا» من الأدوات التي تثير مشكلًا نوعيًّا تنفرد به عن بقية الأدوات، وذلك واضح جلي؛ حيث إنها تأتي ظرفية، وشرطية، ولا نجد عند النحاة معيارًا واضحًا جليًّا نستطيع من خلاله أن نفرق بين كونها ظرفية أم شرطية(١).

يقول ابن فارس في كتابه «الصاحبي»: "تكون «إذا» شرطًا في وقت مؤقت، تقول: إذا خرجتَ خرجتُ"(٢).

فـ «إذا» في تركيب: «**وإذا سمعت بأحدٍ منهم في بلدٍ فاستقدمه إليك**» جاءت على حقيقتها في الدلالة على الأمر المحقق، أو الذي ينبغي أن يحقق.

وهذا يدل –أيضًا– على ما يغرسه السلطان محمد الفاتح في نفس ابنه من وجوب توقير العلماء وإكرامهم؛ ومن هنا جاء أسلوب الأمر بعد ذلك: «**وأكرمه بالمال**».

وتخصيص «المال» بالذكر هنا؛ ليدل على أنه لا يكفي في إكرامهم أن يكون معنويًّا بالكلمة أو اللفظ، وإنما لا بُدّ وأن يترجم هذا إلى إكرام بالمال؛ حتى يتفرغ العلماء لوظيفتهم التي خلقوا من أجلها، وهي تحصيل العلم وتعليمه للناس، ومن ثم يقول القائل :

إنَّ الْمُعَلِّـــمَ وَالطَّبِيـــبَ كِلَاهُمَـــا لَا يَنْصَـــحَانِ إذَا هُمَـــا لَـــمْ يُكْرَمَـــا

فَاصْـبِرْ لِـدَائِكَ إنْ أَهَنْـت طَبِيبَـهُ وَاصْـبِرْ لِجَهْلِـك إنْ جَفَـوْت مُعَلِّمَـا

١) ينظر: الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية الحديثة ص٦٨.

٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس ص٩٨، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م.

٥- أسلوب الإشارة تركيبه ودلالته

اسم الإشارة: «اسم جيء به لتعيين المشار إليه، وتحديده مقرون بإشارة حسية»[١].

وينقسم -بحسب المشار إليه- إلى ثلاثة أقسام:

أ- «هذا» للمفرد المذكر، «هذه» للمؤنثة، ويقابلها: «تي، ته، تا».

ب- «هذان» للمثنى المذكر، و«هاتان» للمثنى المؤنث.

ج- «هؤلاء» للجمع، وهناك ألفاظ يشار بها إلى المكان: «هنا، هنالك، هناك، ثَمَّ»[٢].

والأصل في أسماء الإشارة أن يشار بها إلى الأشياء المشاهدة المحسوسة التي ترى بالعين، مثل: «هذا الرجل أعلى في المنزلة من هذا»، وقد يأتي مستعملاً في غير الأشياء المحسوسة، وذلك من قبيل المجاز[٣].

ومراتب الإشارة ثلاثة: القرب، والوسط، والبعد، فتأتي «ذا» للقربى وتلحقها «هاء» التنبيه، فيقال: هذا، وهاء التنبيه تلحق اسم الإشارة؛ لتنبيه المخاطب على حضور المشار إليه وقربه، وللمبالغة في إيضاحه، مثل: «هذا أخي»، وللوساطة «ذا» مع الكاف (ذاك)، وللبعد الكاف مع اللام، أي: ذلك[٤].

أما عن أغراض اسم الإشارة فيأتي لأغراض ومقاصد متعددة، نجملها فيما يلي[٥]:

---

١) ينظر: دراسات عربية د. حسن عبد السلام ٢٨٥/١ دون تاريخ طبع.

٢) السابق ص٢٨٥.

٣) ينظر: معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي ٨٨/١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ -٢٠٠٠م.

٤) ينظر: معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي ٩٠/١ ، ٩١ ، ٩٣.

٥) ينظر: معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي ٨٨/١، ٨٩.

أ- تمييز الأشياء بالإشارات المحسوسة.

ب- تنزيل الأشياء المعقولة أو غير المشاهدة منزلة الأشياء المحسوسة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾[آل عمران: ١٧٥].

ج- بيان حال المشار إليه في القرب والبعد.

د- التعظيم: قال تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

هـ- التحقير.

و- التعريض.

- الدلالات المستوحاة من أسلوب وتركيب الإشارة في الوصية:

ومن المواضع التي جاء فيها اسم الإشارة في الوصية:

- «ها أنذا أموت»:

حيث فصل السلطان محمد الفاتح بين (هاء) التنبيه واسم الإشارة بالضمير؛ للإشارة إلى حضور المشار إليه -وهو ذات السلطان ونفسه- وقربه من الموت ومفارقة الحياة لملاقاة مولاه وخالقه، وللمبالغة في إيضاح تلك الحقيقة في ذهن ابنه؛ حتى يكون على أهبة الاستعداد لتلقي هذه الوصية، وتحمل هذا الحدث الجلل، وهو مفارقة أبيه للحياة.

ومن المواضع التي جاء فيها أسلوب الإشارة في الوصية:

- «خذ مني هذه العبرة»، «حضرت هذه البلاد كنملة صغيرة فأعطاني الله تعالى هذه النعم الجليلة»:

جاء أسلوب الإشارة في الوصية والذي تركب من اسم الإشارة والمشار إليه؛ ليربط مختتم الكلام بمبدئه؛ ليظل ابنه حاضر الذهن متنبهًا لكل ما قيل من كلام ذي أهمية؛ حتى يعض عليه بالنواجذ ممتثلًا لأوامره، متجنبًا لنواهيه.

وجاء هذا التركيب ليعمل على التحام النص وترابطه، وتنبيه المتلقي أن يضع الكلام كله أمام ناظريه؛ ومن ثم أكد على ذلك في نهاية كلامه بتلك الأساليب الأمرية التي تحدثنا عنها قبل ذلك، وهي: «**فالزم مسلكي**»، «**واحذ حذوي**»، «**واعمل على تعزيز هذا الدِّين وتوقير أهله**»؛ لتدل على مدى أهمية هذا الكلام.

وتكرار أسلوب الإشارة في نهاية الكلام كثيرًا؛ ليجعل ابنه في حالة ذكر دائم لكل ما قيل في الوصية من قبل.

٦- أسلوب الاستدراك تركيبه ودلالته

يتركب أسلوب الاستدراك ويتكون من «لكنَّ» الناصبة إحدى أخوات «إنَّ» + اسمها + خبرها.

يقال: محمد مريض لكنَّه حاضر.

فيفهم من الجملة الأولى (محمد مريض) أن المرض يمنعه من الحضور، فيجيء أسلوب الاستدراك: (لكنه حاضر) لنفي ما يتوهم من عدم حضوره نظرًا لمرضه، فـ «لكنَّ» تأتي للاستدراك، أي رفع ما يتوهم عدم ثبوته أو نفيه، فأسلوب الاستدراك تعقيب الكلام بنفي ما يتوهم ثبوته، أو إثبات ما يتوهم نفيه[١].

- الدلالات المستوحاة من أسلوب الاستدراك في الوصية:

وقد جاء أسلوب الاستدراك في الوصية في:

- «ولكنِّي غير آسف»:

فجاء أسلوب الاستدراك مركبًا من «لكنَّ» واسمها (ياء المتكلم) وخبرها (غيرُ)؛ للدلالة على نفي ما يتوهم ثبوته من كون الموت مظهر أسف وتحسر،

١) ينظر: معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي ٣٠٧/١، وينظر: دراسات عربية د. حسن عبد السلام ٦/٢.

وهو بالفعل قد يكون كذلك، ولِمَ لا؟! وقد وُصِف الموت في القرآن الكريم بالمصيبة، قال تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[المائدة: ١٠٦].

وقد نفى السلطان عن نفسه الأسف والتحسر؛ معللاً ذلك بتركه ولدًا يضع فيه كل أمله، ويعده للحياة إعدادًا؛ ومن هنا جاء أسلوب التأكيد المقترن بلام التعليل في قوله: «**لِأنِّي تاركٌ خَلَفًا مثلَك**»، فهذا التركيب مركب من لام التعليل، وأسلوب التأكيد المكون من «إنَّ» واسمها وخبرها، فهذا التركيب يبين مدى استعداد السلطان محمد الفاتح للموت وهو مطمئن الفؤاد راضي النفس غير قلق؛ وذلك لأنه سوف يترك ولدًا صالحًا سيقوم باستكمال مسيرته الناجحة.

وقد نفى عن نفسه الأسف، والأسف أشد أنواع الحزن[١].

قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[الكهف: ٦].

والمعنى: فلعلك قاتل نفسك يا محمد ومهلكها غمًّا وحزنًا على فراقهم وتولِّيهم، وإعراضهم عن الإيمان إن لم يؤمنوا بهذا القرآن حسرة وأسفًا عليهم، فما يستحق هؤلاء أن تحزن وتأسف عليهم، والآية تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام[٢].

١) ينظر: الصحاح، ومختار الصحاح مادة (أ س ف).

٢) ينظر: صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ١٨٣/١٥، ط: دار الرشيد– سوريا، حلب.

٧- ضمير الفصـل

ضمير الفصل هو الذي يقع بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله مبتدأ وخبر، واشترط جمهور النحاة أن يكون الأول -أي المبتدأ- معرفة، وأما الثاني معرفة أو كالمعرفة، نحو: زيد هو المنطلق، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[المزمل: ٢٠][١].

ويأتي ضمير الفصل في الكلام لأغراض وفوائد جمة ومتعددة، منها:

- الإعلام بأن ما بعده خبر لا تابع، أي: ليس صفة ونحوها، ومن هنا أطلق عليه فصلًا؛ لأنه يفصل بين الخبر والتابع، وسمِّي أيضًا عمادًا؛ لأنه يعتمد عليه معنى الكلام وإيضاحه، وجُلُّ النحويين يقصره على هذه الفائدة، نحو: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢].
- ومنها: الاختصاص والقصر، نحو: زيد هو العالم، وقوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٣، ٤٤].
- ومن فوائد ضمير الفصل -أيضًا- التوكيد، وسمَّاه بعض الكوفيين دعامة[٢].

- الدلالات المستوحاة من ضمير الفصل في الوصية:

وقد جاء ضمير الفصل في الوصية في:

- «واعمل على نشر الدين الإسلامي؛ فإن هذا هو واجب الملوك على الأرض»:

---

١) ينظر: معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي ٤٧/١.

٢) ينظر: معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي ٤٧/١، ٤٨، ٤٩.

فجاء تركيب «**فإن هذا هو واجب الملوك على الأرض**» مشتملًا على أداة التوكيد «إن»، وضمير الفصل «هو»؛ ليؤكد حقيقة نشر الدين الإسلامي بما يحمله من تعاليم سمحة، وبما فيه من وسطية، وتسامح، وحب للبشرية، وحسن معاملة الناس، واحترام الآخر، وعدم التعدي على حرية الآخرين.

وجاء ضمير الفصل الذي فصل بين اسم إن (هذا) وبين خبرها (واجب)؛ ليؤكد على أن نشر تعاليم الدين الإسلامي واجب الملوك على الأرض.

وقد جاء ضمير الفصل في الوصية –أيضًا– في:

– «**وبما أن العلماء هم بمثابة القوة المبثوثة في جسم الدولة فعظِّم جانبهم**»:

فقد حوى التركيب السابق ضير الفصل «هم» الذي فصل بين اسم إنَّ (العلماء) وخبرها (بمثابة)؛ ليشير إلى مكانة العلماء، فهم القوة الكامنة في البلاد، ولم لا؟! فالعلماء ورثة الأنبياء مصداقًا لقولهﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»[١].

١) ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٦/ ٤٦، ط: الرسالة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الأنام، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فبعد أن طاف البحث في وصية محمد الفاتح لابنه، دارسًا لتراكيبها وأساليبها، تمخض عن أهم النتائج الآتية:

١- تنوع تراكيب الوصية وأساليبها؛ وذلك لجذب انتباه المتلقي لهذه الوصية، وربط الأسباب بالنتائج.

٢- تعدد التراكيب والأساليب في الوصية أدى إلى التحام النص، وترابطه وتماسكه، وتنبيه المتلقي إلى الاهتمام بماُ يلقى عليه، وأن يضع الكلام كله أمام ناظريه.

٣- كثرة استخدام محمد الفاتح في وصيته للتراكيب والأساليب الأمرية؛ ممّا يدل على مدى عنايته واهتمامه بحال ابنه؛ وذلك لأنه يعده لأمر جلل عظيم؛ إذ إنه سيكون الراعي بعده.

٤- استخدامه لأسلوب النهي يدل على حرصه على اجتناب ابنه للأمور التي نهاه عنها في الوصية.

٥- استخدامه لتراكيب وأساليب (الشرط، والإشارة، والاستدراك، والتحذير)، وكذلك استخدامه -أيضًا- ضمير الفصل يدل على أن استخدامه لتلك التراكيب والأساليب لم يكن عبثيًّا؛ وإنما كان مقصودًا لذاته؛ لما لهذه الأساليب من أثر في ترابط النص، لاسيما في هذا السياق الأبوي الحاني، وليس هذا فحسب، وإنما هي وصية سلطان لخليفته.

والحمد لله أولًا وآخرًا.

المصادروالمراجع

١) الأساليب الإنشائية في ضوء القرآن الكريم، د. بسيوني عرفة، ط: الرسالة.

٢) أسلوب الطلب باستخدام صيغ فعل الأمر في اللغات السامية دراسة لغوية مقارنة، تأليف: علاء عبد الدايم، إياد محمد حسين، علي عبد الحمزة لازم، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠١٦، المجلد ٦، العدد ٤.

٣) البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى أمين، ط: جاكرتا ـ روضة فريس٢٠٠٧م.

٤) التركيب اللغوي للأدب، عبد البديع لطفي بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا، مكتبة لبنان . بيروت، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، الجيزة ١٩٩٧م.

٥) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي، شرح وتحقيق: الأستاذ الدكتور عبد الرحمن علي سليمان، ط: دار الفكر العربي الطبيعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

٦) دراسات عربية د. حسن عبد السلام، دون تاريخ طبع.

٧) دراسة تفصيلية لأحوال الحملة العربية، د. صبحي محمد عبد الحميد، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٤م، ط: دار الطباعة المحمدية.

٨) دلالات التراكيب د. محمد أبو موسى، ط: دار التضامن، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٩) سمير المؤمنين في المواعظ والحكم والقصص، محمد علي الحجار، طبعة دار البشائر الإسلامية، الطبعة التاسعة ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

١٠) الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية الحديثة، د. عبد السلام المسدي، د. محمد الهادي الطرابلسي، ط: الدار العربية للكتاب، ليبيا . تونس ١٩٨٥م.

١١) الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢) صحيح مسلم، تحقيق: عبد الله أحمد أبو زينة، طبعة كتاب الشعب.

١٣) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، ط: دار الرشيد ـ سوريا، حلب.

١٤) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

١٥) علم المعاني د. بسيوني عبد الفتاح فيود، دون تاريخ طبع.

١٦) علوم البلاغة لمصطفى المراغي، ط:٣، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م.

١٧) قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين د. زكريا سليمان بيومي، ط: عالم المعرفة، القاهرة١٩٩١م.

١٨) قيام الدولة العثمانية د. عبد اللطيف عبد الله دهيش، ط: مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ١٩٩٥م.

١٩) كشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور البهوتي، الناشر: مكتبة النصر الحديثة بالرياض، دون تاريخ.

٢٠) محاضرات في علم المعاني د. محمود شيخون، دون تاريخ طبع.

٢١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢١هـ – ٢٠١٠م.

٢٢) معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ –٢٠٠٠م.

٢٣) نظم العقيان في أعيان الأعيان لجلال الدين السيوطي، تحقيق: فيليب حتّى، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
٢٤) وصية السلطان محمد الفاتح لابنه بايزيد الثاني دكتورة نعيمة عبد الله بن دهيش – قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة بنها، العدد الثالث والعشرون يوليو ٢٠١٠.